كلمة الحياة

آذار/ مارس 2022

"واَغفِرْ لنا ذُنوبَنا كما غَفَرنا نَحنُ أيضًا لِلمُذنِبينَ إلَينا" (متّى 6، 12)

أُخِذت كلمة حياة هذا الشهر من صلاة الأبانا التي علّمها يسوع لتلاميذه. إنّها صلاة متجذّرة بشكل عميق في التقليد اليهوديّ. فاليهود أيضًا كانوا وما زالوا يدعون الله "أبانا".

عند القراءة الأولى، تستوقفنا كلمات هذه الآية: هل نستطيع أن نطلب من الله أن يلغيَ ذنوبَنا، بحسب ما يقترح النصّ اليونانيّ، تمامًا كما قد نفعله نحن مع مَن أساء إلينا؟ فدائمًا ما تكون قدرتنا على المغفرة محدودة وسطحيّة ومشروطة.

إذا كان الله يعاملنا وَفق مقياسنا، فهذه إدانة حقيقيّة لنا!

"واَغفِرْ لنا ذُنوبَنا كما غَفَرنا نَحنُ أيضًا لِلمُذنِبينَ إلَينا"

لكن بالعكس، إنّها كلمات مهمّة تعبّر قبل كلّ شيء عن إدراكنا أنّنا بحاجة إلى غفران الله. يسوع بنفسه أودَعها تلاميذَه، ومعهم كلَّ المعمَّدين، لكي يتمكّنوا من خلالها أن يتوجّهوا إلى الآب ببساطة القلب.

كلّ شيء يولد انطلاقًا من اكتشافنا أنّنا أبناءٌ في الابن، إخوةٌ ليسوع ومتشبّهون به، هو الذي كان أوّل من جعل حياتَه مسيرة التزام أكثر فأكثر اكتمالًا بإرادة الآب المُحِبّة.

ونحن، بعد أن نتقبّل هبةَ الله ومحبّتَه اللا محدودة، نستطيع أن نسأل الآب كلّ شيء، بما فيه أن يجعلَنا نتشبّه به أكثر فأكثر، حتّى في القدرة على مسامحة الإخوة والأخوات، بقلب سخيّ، يومًا بعد يوم.

كلُّ عملِ مغفرة هو خِيارٌ حرٌّ وواعٍ، علينا تجديدُه دائمًا بتواضع. إنّه ليس عادةً على الإطلاق وإنّما مسار متطلِّب، يدعونا يسوع لنصلّي من أجله كلّ يوم، كما نفعل من أجل الخبز.

"واَغفِرْ لنا ذُنوبَنا كما غَفَرنا نَحنُ أيضًا لِلمُذنِبينَ إلَينا"

كم مرّةٍ قد يسيء إلينا الأشخاص الذين نعيش معهم: في العائلة، في الحيّ، في مكان العمل أو الدراسة، ويصعب علينا أن نُعيدَ بناءَ علاقة إيجابيّة! ما العمل؟ هنا يمكننا أن نطلب نعمةَ التشبّه بالآب:

"[...] لنستيقظ صباحًا وفي قلبنا "عفو شامل"، وحُبّ يستُر كلّ شيء، قادر على أن يستقبل الآخر كما هو، بمحدوديّاته، وصعوباته، تمامًا كما تفعل الأمّ مع ولدها الذي يخطئ: هي تعذره دومًا، وتسامحه دومًا، وتضع دومًا أمَلَها فيه... ولننظر بعيون جديدة الى كلّ شخص نقترب منه وكأنّ هذه العيوب لم تكن لديه قطّ. ولنُعِد الكَرّة دائمًا، مدركين أنّ الله لا يغفر فحسب، وإنّما ينسى أيضًا: هذا هو المقياس الذي يطلبه منّا نحن أيضًا[1]".

إنّه هدف سامٍ يمكننا أن نسيرَ نحوه بمساعدة الصلاة المملوءةِ ثقةً.

"وَاغفِرْ لنا ذُنوبَنا كما غَفَرنا نَحنُ أيضًا لِلمُذنِبينَ إلَينا"

إنّ منظور صلاة الأبانا كلّها هو منظور الـ"نحن"، منظور الأخوّة: لا أطلب فقط لأجلي بل لأجل الآخرين أيضًا ومع الآخرين. قدرتي على الغفران تدعمها محبّةُ الآخرين، ومن الناحية الأخرى، محبّتي قد تجعلني أشعر بطريقة ما أنّ خطأ أخي هو خطأي: ربّما يتوقّف الأمر عليّ أيضًا، ربّما لم أقم بكلّ ما عليّ لكي يشعر بأنّ الآخرين يتقبّلونه ويفهمونه ...

في المدينة الإيطاليّة باليرمو، تعيش الجماعات المسيحيّة اختبارَ حوار عميق يتطلّب تجاوز بعض الصعوبات. يخبرنا 'بيادجو' و'زينا': "في يوم دعانا قِسّيسٌ صديقُنا للِقاء بعض العائلات التي لم تكن تعرفنا من كنيسته البروتستانتيّة. كنّا قد أحضرنا معنا طعامًا نتشارك به وقت الغداء، إلّا أنّ تلك العائلات أفهمتنا أنّ هذا اللقاء غيرُ مُحَبَّب لديها. دعَت 'زينا' بلطافة هؤلاء الأشخاص لتذوّق بعض الأطباق الخاصّة التي أعدَّتها، وفي نهاية المطاف تناولنا الطعام معًا. بعد الغداء، بدأوا يُسلّطون الضوء على العيوب التي كانوا يرونها في كنيستنا. رغبةً منّا بعدم خوض حرب كلاميّة، قلنا لهم: هل يستطيع هذا العيب أو هذا الاختلاف بين كنيستَيْنا أن يمنعنا من محبّة بعضنا البعض؟ هم المعتادين على خِطابات الطعن المستمرّة، أُصيبوا بالدهشة ورمَوا سلاحهم أمام إجابة كهذه، وبدأنا نتحدّث عن الإنجيل وعمّا يوحّدنا، وهو بالطبع يفوق بأضعاف ما يُفرّقنا. عندما حان وقت الوداع، لم يشاؤوا أن نرحل؛ عندها اقترحنا عليهم أن نصلّي معًا صلاة الأبانا، شعرنا خلالها بقوّة حضور الله. ثمّ أخذوا وعدًا منّا بأن نعود لأنّهم كانوا يودّون أن يعرّفونا بباقي جماعتهم، وهذا ما حصل طيلة هذه السنوات الأخيرة".

ليتيتسيا ماغري *Letizia Magri*

[1] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر كانون الأوّل/ ديسمبر 2004.